بِـأَنَّ الْـوَافِـدَ الـرُّحَّـالَ أَمْـسَـىٰ مُـقِـيـمـاً عِـنْـدَ تَـيْـمَـنَ ذِي طِـلَالِ

وهذه الأبيات في أبيات له فيما ذكر ابن هشام.

القتال بين الفريقين

فأتى آتٍ قُرَيشاً فقال: إنَّ الْبَرَّاض قد قَتَل عُرْوةَ، وهم في الشهر الحرام بـ «عكاظ»[1]، فارتحلوا وَهَوَازِنُ لاَ تَشْعُرُ بِهِمْ ثمَّ بلغهمُ الخَبَرُ، فأتبعوهم، فأدركُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَدخُلُوا الحَرمَ، فاقتتلوا حَتَّى جَاءَ اللَّيْلُ، وَدَخَلُوا الْحَرَمَ، فأمسكت عنهم هَوَازِنُ، ثُمَّ التقوا بعد هَذَا اليوم أياماً والقومُ متساندون[2] عَلَىٰ كُلِّ قبيل مِنْ قُرَيْشٍ وكنانة رئيسٌ منهم، وعلى كل قبيلٍ من قيسٍ رئيسٌ منهم، وشهد رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعضَ أيامهم، أخرجه أعمامه معهم، وَقَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْتُ أَنْبُلُ عَلَىٰ أَعْمَامِي» أَيْ: أَرُدُّ عنهم نَبْلَ عدوهم إِذَا رَمَوْهُمْ بِهَا [١٣٥].

سِنُّ رسول الله ـ ﷺ ـ عام الفجار وحضوره القتال

قال ابن إسحاق: هَاجَتْ حَرْبُ الفِجَارِ ورسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنُ عشرين سنةً، وإنما سُمِّيَ يَوْمَ الفِجَارِ بما استحلَّ هذان الحيَّانِ كنانةُ وقيس عُيْلاَن فيه من المَحَارِمَ بينَهُمْ، وكان قائدُ قريشٍ وكنانة حَرْبَ بن أُميَّة بن عبد شَمْسٍ، وكان الظَفَر في أول النَّهار لقيس على كنانة، حتى إِذَا كان في وسط النهار كَانَ الظَّفَرُ لكِنَانَةَ عَلَى قَيْسٍ [١٣٦].

قال ابن هشام: وحديث[3] الفِجَارِ أطولُ مما ذكرتُ، وإنما منعني من استقصائه قَطْعُه

---

[١٣٥] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤) عن ابن هشام. وينظر الكلام على حرب الفجار في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١/ ١٠١ ـ ١٠٣)، و«سبل الهدى والرشاد» (٢/ ١٥٢ ـ ١٥٣).

[١٣٦] ينظر «البداية والنهاية» (٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤) و«سبل الهدى والرشاد» (٢/ ١٥٢).

---

(١) عكاظ: سوق من أسواق العرب كانوا يجتمعون فيها كل سنة قبل الإهلال بالحج.

(٢) القوم متساندون: أي ليس لهم أمير واحد يجمعهم.

(٣) وقد فسر ابن هشام معنى حرب الفجار.
وروى ابن سعد أن رسول الله ﷺ قال: قد حضرته ـ يعني: حرب الفجار ـ مع عمومتي ورميت فيه بأسهم وما أحب أني لم أكن فعلته وكنت أنبُل على أعمامي.
وكان آخر أيام الفجار أن هوازن وكنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ فجاءوا للموعد، وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة، وكان عتبة بن ربيعة يتيماً في حجره فضربه حرب وأشفق من خروجه معه فخرج عتبة بغير إذنه فلم يشعر إلا وهو على بعيره بين الصفين ينادي: يا معشر مضر علام تفانون؟ =

حَدِيثُ تَزْوِيجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَدِيجَةَ. عليها السلام (١)

سِنُّ رسول الله ـ ﷺ ـ عام زواجه بها

قال ابن هشام: فَلَمَّا بَلَغَ رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمساً وعشرين سنة تَزَوَّجَ

---

[١٣٧] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٥٤).

= فقالت له هوازن: ما تدعو إليه؟ قال: الصلح على أن ندفع لكم دية قتلاكم وتعفوا عن دمائنا. قالوا: وكيف ذاك؟ قال: ندفع إليكم رهناً منا. قالوا: ومن لنا بهذا، قال أنا: قالوا، ومن أنت؟ قال: أنا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس. فرضوا ورضيت كنانة ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلاً فيهم حكيم بن حزام فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن في أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار.

وكان يقال: لم يسد من قريش مملق يعني فقيراً غير عتبة وأبي طالب فإنهما سادا بغير مال.

تنبيه: ذكر السهيلي أن النبي ﷺ لم يقاتل في حرب الفجار. وقد تقدم عن ابن سعد أن رسول الله ﷺ قاتل فيه. ينظر: السبل (٢/ ١٥٢ ـ ١٥٣).

(١) وسبب ذلك ما حدّثها به غلامها ميسرة وما رأته من الآيات وما ذكره ابن إسحاق في المبتدأ قال: كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه في المسجد فاجتمعن يوماً فيه فجاءهن يهودي فقال: يا معشر نساء قريش إنه يوشك فيكن نبي فأيكن استطاعت أن تكون فراشاً له فلتفعل. فحصبه النساء وقبحنه وأغلظن له. وأغضت خديجة على قوله ولم تعرض فيما عرض فيه النساء ووقر ذلك في نفسها، فلما أخبرها ميسرة بما رآه من الآيات وما رأته هي قالت: إن كان ما قاله اليهودي حقًّا ما ذلك إلا هذا.

واختلفوا في سبب الخطبة. فعند أبي سعيد النيسابوري في «الشَّرَف» أن خديجة رضي الله تعالى عنها قالت للنبي ﷺ: اذهب إلى عمك فقل له: عجل إلينا بالغداة. فلما جاء قالت له: يا أبا طالب ادخل على عمرو عمي فكلمه يزوجني من ابن أخيك محمد بن عبد الله. فقال أبو طالب: يا خديجة لا تستهزئي. فقالت: هذا صنع الله. فقام أبو طالب مع عشرة من قومه. فذكر الحديث.

وعند الزهري في سيرته أن رسول الله ﷺ دخل على خديجة ليتحدث عندها فلما قام من عندها جاءت امرأة فقالت: خاطباً يا محمد؟ فقال: كلا. فقالت: ولم؟ فوالله ما في قريش امرأة وإن كانت خديجة إلا تراك كفئاً لها. فرجع رسول الله ﷺ خاطباً لخديجة مستحيياً منها.

وعند يعقوب بن سفيان في تاريخه عن عمار قال: مررت أنا ورسول الله ﷺ بأخت خديجة فنادتني فانصرفت إليها ووقف لي رسول الله ﷺ فقالت: أما لصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة؟ فقال عمار: فأخبرته. فقال: بلى لَعَمْري. فذكرت لها، فقالت: اغدوا علينا إذا أصبحنا. فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة وألبسوا خديجة حلة. وذكر الحديث.

وعند ابن إسحاق في المبتدأ أنها قالت له: يا محمد ألا تتزوج؟ قال: ومن؟ قالت: أنا قال: ومن لي بك، أنت أيم قريش وأنا يتيم قريش. قالت: اخطبني. وذكر الحديث.

وروى ابن سعد عن نفيسة بنت منية قالت: كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة جلدة شريفة مع =

خديجَة بِنْتَ خُوَيْلد بْنِ أسَد بن عبد الْعُزَّى بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَي بن غالِبٍ، فيما حَدَّثَني غيرُ واحد من أَهْلِ العِلْمِ، عن أبي عمرو المدني[1].

منزلة خديجة وخروج النبي في تجارة لها

قال ابن إسحاق: وَكَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ امرأةً تَاجِرَةً، ذَاتَ شَرَفٍ وَمَالٍ، تستأجر الرِّجَالَ فِي مَالِهَا، وَتُضَارِبُهُمْ إِيَّاهُ[2] بِشَيءٍ تَجْعَلُهُ لَهُمْ، وكانت قريشٌ قوماً (٣٤/أ) تُجَّاراً، فلما بلغها عن رسولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما بلغها: مِنْ صِدْقِ حَدِيثِهِ، وعِظَمِ أَمَانَتِهِ،

== ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذ أوسط قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً وكل قومها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الأموال، فأرسلتني دسيساً إلى محمد بعد أن رجع في عيرها من الشام فقلت: يا محمد ما يمنعك أن تتزوج؟ فقال: ما بيدي ما أتزوج به. قلت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تُجيب؟ قال: فمن هي؟ قلت: خديجة. قال: وكيف لي بذلك؟ قال: قلت: عليّ. قال: فأنا أفعل. فذهبت فأخبرتها فذكرت الحديث. قالت: فأرسلت إليه أن ائت ساعة كذا وكذا. فحضر وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها.

وذكر أبو الحسين بن فارس وغيره رحمهم الله تعالى أن أبا طالب خطب يومئذ فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضىء معد مضر، وجعلنا حضنة بيته وسوَّاس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا حكام الناس ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً وإن كان في المال قلا فإن المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل، وقد خطب إليكم رغبة في كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق حكمكم عاجله وآجله اثنتا عشرة أوقية ونشًا.

فقال عمرو بن أسد عمها: هو الفحل لا يُقْدَع أنفه. وأنكحها منه. ويقال: إن ورقة هو الذي قاله.

قال ابن إسحاق في المبتدأ: وكان تزويجه لها بعد مجيئه من الشام بشهرين وخمسة وعشرين يوماً عقب صفر سنة ست وعشرين.

قال الزهري: وقال واجز من أهل مكة في ذلك [من الرجز]:

لا تَـزْهَـدِي خَـدِيـجُ فِـي مُـحَـمَّـدْ ... نَـجْـمٍ يُـضِـيءُ كَـمَـا أَضَـاءَ الـفَـرْقَـدْ

ينظر: السبل (٢/ ١٦٤ ـ ١٦٥).

(١) اختلف في قدر عمر خديجة وعمر رسول الله ﷺ حينئذ فقيل: كان عمره ﷺ خمساً وعشرين سنة. قال في «الغرر» وهو الصحيح الذي عليه الجمهور. وقطع به أبو عمرو الحافظ عبد الغني المقدسي. وقيل: إحدى وعشرين سنة وقدمه في «الإشارة».

وقيل: تسعاً وعشرين وقد راهق الثلاثين. قاله البرقي. وقيل ثلاثين. وقيل سبعاً وثلاثين وقيل غير ذلك.

قال في «الغرر» وهذه الأقوال الأربعة ضعيفة ليس لها حجة تقوم على ساق.

وقيل: كان عمرها رضي الله تعالى عنها أربعين سنة. وصححه في «الغرر» وقيل خمساً وأربعين وقيل ثلاثين وقيل ثمانية وعشرين. ينظر: السبل (٢/ ١٦٦).

(٢) وتضاربهم إياه: أي تقارضهم، والمضاربة: المقارضة.

وَكَرَم أَخْلاَقِهِ؛ بَعَثَتْ إِلَيْهِ، فَعَرَضَتْ عليه أن يخرجَ في مالٍ لَها إلى الشأم تَاجراً وتعطيه أفضلَ ما كانتْ تُعْطِي غَيْرَهُ مِنَ التُّجَارِ، مَعَ غلام لها يُقَالُ له مَيْسَرَةُ؛ فقبله رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا، وَخَرَجَ فِي مَالِهَا ذَلِكَ، وَخَرَجَ مَعَهُ غلامها مَيْسَرةُ، حَتَّى قدم الشَام.

راهب من رهبان النصارى يخبر ميسرة بنبوة النبي

فنزل رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ظلِّ شَجَرَةٍ قريباً مِن صَوْمَعَة راهب من الرُّهْبَانِ[1]، فاطَّلَع الراهِبُ إلى ميسرة، فقال له: مَنْ هذا الرَّجُل الذي نزل تحت هذه الشجرةِ؟ قال له مَيْسَرَةُ: هذا رَجُلٌ مِنْ قريش مِنْ أَهْل الحَرَمِ، قال له الراهب: مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرة قَطّ إلاَّ نبيٌّ.

ميسرة يحدث خديجة عما رأى من النبي

ثم باع رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِلْعَتَهِ التي خرجَ بها، واشترى ما أراد أَنْ يَشْتَرِيَ، ثُمَّ أقبلَ قافلاً إِلَى مَكَّةَ ومعه ميسرة، فكان ميسرة ـ فيما يزعمون ـ إِذَا كانَتِ الْهاجِرَةُ واشتد الحرُّ يرى مَلَكين يُظِلاَّنه مِنَ الشَّمْسِ، وهو يسير على بعيره، فَلَمَّا قدم مكَّةَ عَلَى خديجة بمالها باعت ما جاء به فَأَضْعَفَ أو قريباً، وحدثها ميسرة عن قول الراهب، وعما كَانَ يَرى مِنْ إِظْلاَلِ الملكينِ إيَّاهُ.

خديجة تعرض نفسها على النبي ليتزوجها

وكانتْ خَدِيجَةُ امْرَأَةً حَازِمةً شَرِيفَةً لَبِيبَةً، مَعَ مَا أَرَادَ اللهُ بِهَا مِنْ كَرَامَتِهِ، فَلَمَّا أخبرها مَيْسَرَةُ بما أَخْبَرَهَا بِهِ بعثت إلى رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالتْ لَهُ ـ فيما يزعمون ـ: يَا ابْنَ عَمٍّ، إِنِّي قَدْ رَغَبْتُ فِيكَ؛ لِقَرَابتِكَ، وسطَتِكَ في[2] قَوْمِكَ، وَأَمَانَتِكَ، وحُسْنِ

---

(١) قريباً من صومعة راهب، يقال: إن اسم هذا الراهب نسطور.

(٢) سِطتُك في قومك: أي شرفك.

والوسط من أوصاف المدح والتفضيل ولكن في مقامين: في ذكر النسب وفي ذكر الشهادة. أما النسب: فلأن أوسط القبيلة أعرقها وأولادها بالصميم وأبعدها عن الأطراف وأجدر أن لا تضاف إليه الدعوى، لأن الآباء والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب فكان الوسط من أجل هذا مدحاً في النسب لهذا السبب. وأما في الشهادة فنحو قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [ن: ٢٨] ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وكان هذا مدحاً في الشهادة لأن غاية العدالة في الشاهد أن يكون وسطاً كالميزان لا يميل مع أحد بل يصمم على الحق تصميماً، لا يجذبه هوى ولا تميل به رغبة ولا رهبة من هاهنا ولا من هاهنا فكان وصفه بالوسط غاية في التزكية والتعديل وظن كثير من الناس أن معنى الوسط الأفضل على الإطلاق، وقالوا معنى الصلاة الوسطى الفضلى، وليس كذلك بل هو في جميع الأوصاف لا مدح ولا ذم كما يقتضي لفظ التوسط فإذا كان وسطاً في =

خُلُقِكَ، وصِدْقِ حَدِيثِكَ، ثُمَّ عرضتْ عليه نَفْسَهَا، وكَانَتْ خديجةُ يومئذٍ أوسَطَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَباً، وأعظمَهُنَّ شَرَفاً، وأَكثَرَهُنَّ مالاً، كلُّ قومها كَانَ حَرِيصاً عَلَى ذَلِكَ منها لو يقدر عليه.

نسب خديجة من جهة أبيها

وهي: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيلِدِ بْنِ أَسَد بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلابِ بْنِ مُرَّة بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فَهْرٍ.

نسب خديجة من جهة أمها

وأمها: فَاطِمَةُ بِنْتُ زَائِدَة بْنِ الأَصَمِّ بْنِ رَوَاحة بْنِ حَجَر[1] بْنِ عبد بن مَعيص بن عامر بن لُؤَيّ بن غَالب بن فهر؛ وأمُّ فاطمةَ: هَالةُ بنت عبد مَنَافِ بنِ الحرث بن عَمْرو بنِ مُنْقذ بنِ عَمْرو بن مَعيص بنِ عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فهر؛ وأمُّ هَالَةَ: قِلابَةُ بنت سُعَيْد بن سعد بن سَهْم بنِ عَمْرو بنِ هُصَيص بنِ كَعْب بنِ لُؤَي بنِ غَالِب بن فِهْرٍ.

فلما قالتْ ذَلِكَ لِرسولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر ذَلِكَ لأَعْمَامِهِ، فَخَرَجَ مَعَهُ عَمُّه حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خُوَيلد بْنِ أَسَدٍ، فَخَطَبها إِلَيْهِ، فَتَزَوَّجَهَا [١٣٨].

صداق خديجة

قال ابن هشام: وأَصْدَقَها رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِشْرِينَ بَكْرَةً، وَكَانَتْ أَوَّلَ

---

[١٣٨] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٦٦ ـ ٦٧) والطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) كلاهما من طريق ابن إسحاق به. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩) من طريق ابن إسحاق. وينظر زواج النبي ﷺ من خديجة بنت خويلد في المصادر الآتية. «الطبقات الكبرى» (١/ ١٠٥ ـ ١٠٦) و«أسد الغابة» (١/ ١٢٤) و«سبل الهدى» (٢/ ١٦٤ ـ ١٦٥).

= السِّمن فهو بين الممخة أي السمينة والعجفاء. والوسط في الجمال بين الحسناء والشوهاء إلى غير ذلك من الأوصاف لا يعطي مدحاً ولا ذماً. غير أنهم قد قالوا في المثل: أثقل من مغنٍّ وسط على الذم لأن المغني إن كان مجيداً جداً أمتع وأطرب وإن كان بارداً جداً أضحك وألهى وذلك أيضاً مما يمتع. قال الجاحظ: وإنما الكرب الذي يجثم على القلوب ويأخذ بالأنفاس الغناء الفاتر الوسط الذي لا يمتع بصوت. ولا يضحك بلهو.

وإذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال في رسول الله ﷺ هو أوسط الناس أي أفضلهم ولا يوصف بأنه وسط في العلم ولا في الجود ولا في غير ذلك إلا في النسب والشهادة.

ينظر: السبل (٢/ ١٦٧).

(١) وقع في الرواية هنا حجر بحاء مهملة مضمومة وجيم ساكنة، وخجير بالتصغير، وحجر بفتحتين، وهكذا قيده الدارقطني وهو الصواب.

ٱمْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَيْهَا غَيْرَهَا حَتَّى مَاتَتْ رَضِيَ الله عَنْهَا [١٣٩].

أولاد النبي ﷺ من خديجة

قال ابن إسحاق: فَوَلَدَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَدَهُ كُلَّهُمْ، إلاَّ إبْرَاهِيمُ: القَاسِمُ، وبه كان يُكَنَّى صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والطَّاهِرُ، والطَّيِّبُ، وزَيْنَبُ، وَرُقَيَّةُ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ، وَفاطِمَةُ، عليهم السَّلامُ [١٤٠].

قال ابن هشام: أكبر بنيه القَاسِمُ، ثم الطَّيِّبُ، ثم الطَّاهِرُ، وأكبر بناته رُقَيَّة، ثم زَيْنَبُ، ثُمَّ أُمُّ كُلْثُومٍ، ثُمَّ فَاطِمَةُ [١٤١].

وفيات أولاده ﷺ

قال ابن إسحاق: فأما القَاسِمُ (٣٤/ب) والطَّيِّبُ والطَّاهِرُ فهلكوا في الجاهلية. وأما بَنَاتُهُ فَكُلُّهُنَّ أَدْرَكْنَ الإِسْلاَمَ فَأَسْلَمْنَ، وَهَاجَرْنَ مَعَهُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١٤٢].

قال ابن هشام: وَأَمَّا إبْرَاهِيمُ فَأُمُّهُ مَارِيَةُ.

قال ابن هشام: حدثنا عبدُ الله بن وَهْب، عن ابن لَهيعة، قال: أمُّ إبراهيم ماريةُ سُرِّيَّة النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي أَهْدَاهَا إليه الْمُقَوْقِسُ مِنْ حَفْن مِنْ كَوْرَةِ أَنْصِنا[1] [١٤٣].

خديجة تحدث ورقة بحديث ميسرة عن النبي

قال ابن إسحاق: وكانت خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلد قَدْ ذَكَرَتْ لِوَرَقَةَ بْنِ نَوْفَل بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ـ وكان ٱبْنَ عَمِّها، وكَانَ نَصْرَانِيًّا قد تَتَبَّعَ الكُتُبَ وَعَلِمَ مِنْ عِلْمِ النَّاسِ ـ مَا ذَكَرَ لَهَا غُلاَمُهَا مَيْسَرَةُ من قول الرَّاهِبِ، وما كَان يرى منه إذ كانَ الملَكانُ يُظلاَنه، فقال ورقةُ: لئن كَانَ هَذا حقًّا يا خديجةُ إنَّ محمداً لنبيُّ هذه الأُمَّةِ، وقد عَرَفْتُ أنه كَائِنٌ لهذه الأُمَّةِ نَبِيٌّ يُنْتَظر، هَذَا زَمَانُهُ، أ وكما قال، فَجَعَلَ وَرَقَةُ يَسْتَبْطِىءُ الأَمْرَ، ويقولَ: حَتَّى مَتَّى؟ فقالَ

---

[١٣٩] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٥٩). وينظر «سبل الهدى والرشاد» (٢/ ١٦٥).

[١٤٠] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٦٩) من طريق ابن إسحاق به. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٥٩) من طريق ابن إسحاق.

[١٤١] ينظر «الطبقات الكبرى» (١/ ١٠٦ ـ ١٠٧) و«البداية والنهاية» (٢/ ٣٥٩).

[١٤٢] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٦٩) من طريق ابن إسحاق به.

[١٤٣] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٦٠) عن ابن هشام. وينظر ذكر إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وأمه مارية في «الطبقات الكبرى» (١/ ١٠٧ ـ ١٠٨).

---

(١) حفن وأنصناء: مواضع من ديار مصر وقد تقدم ذلك.

وَرَقَةُ في ذلك [من الوافر]:

لَجِجْتَ وَكُنْتَ فِي الذِّكْرَىٰ لَجُوجَا ... لِهَمٍّ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا[1]

وَوَصْفِ مِنْ خَدِيجَةَ بَعْدَ وَصْفٍ ... فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجَا

بِبَطْنِ الْمَكَّتَيْنِ عَلَىٰ رَجَائِي ... حَدِيثَكِ أَنْ أَرَىٰ مِنْهُ خُرُوجَا

بِمَا خَبَّرْتِنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍّ[2] ... مِنَ الرُّهْبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَعُوجَا

بِأَنْ مُحَمَّداً سَيَسُودُ فِينَا ... وَيَخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَجِيجَا

وَيَظْهَرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءُ نُورٍ ... يُقِيمُ بِهِ الْبَرِيَّةَ أَنْ تَمُوجَا[3]

فَيَلْقَىٰ مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَاراً ... وَيَلْقَىٰ مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا[4]

فَيَا لَيْتِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ ... شَهِدْتُ وَكُنْتُ أَكْثَرَهُمْ وُلُوجَا

وَلَوْ جَافَى الَّذِي كَرِهَتْ قُرَيْشٌ ... وَلَوْ عَجَّتْ[5] بِمَكَّتِهَا عَجِيجَا

أُرَجِّي بِالَّذِي كَرِهُوا جَمِيعاً ... إِلَى ذِي الْعَرْشِ إِنْ سَفَلُوا عُرُوجَا[6]

وَهَلْ أَمْرُ السَّفَالَةِ غَيْرُ كُفْرٍ ... بِمَنْ يَخْتَارُ مَنْ سَمَكَ[7] الْبُرُوجَا؟

فَإِنْ يَبْقَوْا وَأَبْقَ تَكُنْ أُمُورٌ ... يَضِجُّ[8] الْكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيجَا

وَإِنْ أَهْلِكْ فَكُلُّ فَتًى سَيَلْقَىٰ ... مِنَ الأَقْدَارِ مَتْلَفَةً حَرُوجَا[9] [١٤٤]

---

[١٤٤] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٢٤٥ ـ ٢٤٧) عن ابن إسحاق به.

---

(١) النَّشِيجُ: البكاء مع صوت.

(٢) القس: واحد القسيسين، وهم عباد النصارى.

(٣) تموج: أي يضطرب بعضها في بعض.

(٤) الفلوج: الظهور على الخصم والعدو.

(٥) عجّت: أي رفعت أصواتها.

(٦) العروج: الصعود والعلو.

(٧) سمك: رفع.

(٨) يضج: يصيح.

(٩) متلفة: مهلكة، والخروج: الكثيرة التصرف.

وينظر: البداية والنهاية (٢/ ٣٦٢، ٣٦٣)، وسبل الهدى والرشاد (٢/ ١٦٠، ١٦١).

حَدِيثُ بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ
وَحُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ قُرَيْشٍ فِي وَضْعِ الحَجَرِ

حالة الكعبة قبل بنائها

قال ابن إسحاق: فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْساً وثلاثين سنةً اجتمعت قريشٌ لبنيان الكعْبَةِ، وكانُوا يهمُّون بذلك ليُسَقِّفوها وَيَهَابُونَ هَدْمَهَا، وإنما كَانَتْ رَضِماً[1] فوق القَامَةِ، فأَرادُوا رَفْعَهَا وتسقيفها، وذَلِكَ أَنَّ نَفَراً سَرَقُوا كَنْزاً لِلْكَعْبَةِ، وإنما كَانَ يَكُونُ فِي بِئْرٍ فِي جَوْفِ الكَعْبَةِ، وكَانَ الَّذِي وُجِدَ عِنْدَهُ الكَنْزُ دُوَيْكاً مولىً لبني مُليح بن عمرو من خزاعة. (قال ابن هشام: فقطعت قريش يده، وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيْكٍ) وكان البحرُ قذْ رَمَى بسفينة[2] إلى جدة لرجل من تجار الرُّوم فتحطمت، فَأَخَذُوا خَشَبَهَا، فَأَعَدُّوهُ لِتَسْقِيفِهَا، وَكَانَ بِمَكَّةَ رَجُلٌ قِبْطِي نَجَّارٌ، فَتَهَيَّأَ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ بَعْضِ مَا يصلحها، وكانت حيةٌ تَخْرُجُ مِنْ بِئْرِ الكَعْبَةِ الَّتِي كَانَتْ يُطْرَحُ فيها مَا يُهْدَي لَهَا كلَّ يَوْم، فتَتَشَرَّفُ[3] عَلَى جِدَارِ الْكَعْبَةِ، وَكَانَتْ مِمَّا يَهَابُونَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لاَ يَدْنوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلاَّ احزَأَلَّتْ وَكَشَّت[4] وفَتَحَتْ فَاهَا، وَكَانُوا يَهَابُونَهَا[5]، فبينا هِيَ ذَاتَ يَوْم تَتَشَرَّفُ عَلَىٰ جِدَارِ الْكَعْبَةِ كَمَا كَانَتْ تَصْنَعُ بَعَثَ الله إِلَيْهَا طَائِراً فاختطفَها، فَذَهَبَ بِهَا، فقَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّا لَنَرْجُو أَنْ يَكُونَ الله قَدْ رَضِيَ مَا أَرَدْنَا، عِنْدَنَا عَامِلٌ (٣٥/أ) رَفِيقٌ[6]،

---

(١) الرَّضْمُ: الحجارة تجعل بعضها على بعض.

(٢) قال الأموي: كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم تحمل له آلات البناء من الرخام والخشب والحديد، سرحها قيصر مع باقوم إلى الكنيسة التي أحرقها الفرس بالحبشة، فلما بلغت مرساها من جدة بعث الله تعالى عليها ريحاً فحطمتها.
ينظر: السبل (١/ ١٦٩).

(٣) فَتَتَشَرَّفُ على جدار الكعبة: أي تبرز للشمس، يقال: تشرفت إذا قعدت للشمس لا يحجبك عنها شيء.

(٤) احزألت: رفعت ذنبها، والمُحْزَئِلُّ المرتفع، وكشت: صوتت، ويقال: الكشيش: صوت جلدها إذا تقبض بعضه في بعض.

(٥) وحكى السهيلي عن رزين أن سارقاً دخل الكعبة في أيام جرهم ليسرق كنزها فانهار البئر عليه حتى جاءوا فأخرجوه وأخذوا ما كان أخذه. ثم سكنت البئر حية كرأس الجدي وبطنها أبيض وظهرها أسود. فأقامت فيه خمسمائة سنة، وهي التي ذكرها ابن إسحاق.
قال ابن عقبة: وزعموا أنها إذا أحاطت بالبيت كان رأسها عند ذنبها.
ينظر: السبل (١/ ١٦٩).

(٦) عندنا عامل رفيق: يقال: إن اسم هذا العامل باقوم بالباء بواحدة، ذكره قاسم بن ثابت والخطابي وكان تاجراً أعجمياً.

وَعِنْدَنَا خَشَبٌ، وقد كَفَانَا الله الحَيَّةَ.

إجماع قريش على بنائها ونصيحة أبي وهب لهم

فلما أجمعوا أمرَهُم فِي هَدْمها وبنائِهَا قَامَ أبو وَهْب بْنُ عَمْرو بن عَائِذِ بنِ عَبْدِ بنِ عِمْران بن مَخْزُوم (قال ابن هشام: عائذ: ابن عمران بن مخزوم) فتناولَ مِنَ الْكَعْبَةِ حَجَراً، فوثبَ مِنْ يَدِهِ حتَّى رَجَعَ إلى مَوْضِعِهِ، فقال: يا معشر قُرَيْشٍ، لا تُدْخلوا فِي بِنَائِهَا مِنْ كَسْبِكُمْ إلاَّ طَيِّباً، لا يَدْخُلُ فيه مَهْرُ بَغِيٍّ[1]، ولاَ بَيْعُ رِباً، وَلاَ مَظْلَمَةُ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ.

والنَّاسُ ينحلون هذا الكلامَ الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم [١٤٥].

قال ابن إسحاق: وقد حَدَّثَنِي عَبْدُ الله بن أبي نَجِيح المكي. أنه حُدِّث، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَفْوان بن أُمَية بن خَلَف بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَحَ بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَي، أنه رأى ابنا لجَعْدَةَ بن هُبَيْرة بن أبي وَهْب بن عَمْرو يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فقيل: هذا ابنٌ لجعدة بن هبيرة، فقال عبد الله بن صفوان عند ذلك: جدُّ هذا (يعني أبا وهب) الذي أَخَذَ حَجَراً مِنَ الْكَعْبَةِ ـ حين أجمعتْ قريش لِهَدْمِهَا ـ فَوَثَب مِنْ يَدِهِ حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِه، فقال عند ذلك: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لا تُدْخلوا في بنائها من كسبِكُمْ إلاَّ طَيِّباً، لا تُدْخِلُوا فيه مَهْرَ بَغِيّ، ولا بَيْعَ ربا، ولا مَظْلَمَةَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ» [١٤٦]؟؟

---

[١٤٥] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٦١ ـ ٦٢) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق به. وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٨٦ ـ ٢٨٨) ثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق به وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٦٨) عن ابن إسحاق به. وينظر بناء قريش للكعبة في «الطبقات الكبرى» (٥١/ ١١٥ ـ ١١٨) و«سبل الهدى والرشاد» (٢/ ١٦٩ ـ ١٧٤).

[١٤٦] إسناده ضعيف لانقطاعه.

عبد الله بن أبي نجيح أبو يسار المكي. قال أحمد وابن معين وأبو زرعة والنسائي: ثقة وقال الحافظ في «التقريب» (ثقة رمى بالقدر وربما دلس ينظر «التقريب» (١/ ٤٥٦) و«تهذيب الكمال» (١٦/ ٢١٧) وعبد الله بن صفوان بن أمية.

ولد على عهد النبي ﷺ ولأبيه صحبة مشهورة وقتل مع ابن الزبير وهو متعلق بأستار الكعبة سنة ثلاث وسبعين. ينظر التقريب (١/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥). ولم يذكر الحافظ المزي رحمه الله في «تهذيب الكمال» (١٥/ ١٢٥) عبد الله بن أبي نجيح ضمن الرواة عنه. والأول من الطبقة الأولى من التابعين والآخر ـ عبد الله بن أبي نجيح ـ من الطبقة السادسة فيستحيل رواية هذا عن ذاك والله أعلم. والحديث أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٨٧) من طريق ابن إسحاق به. وينظر «البداية والنهاية» لابن كثير (٢/ ٣٦٨).

---

(١) البغي: يعني الفاجرة.

أبو وهب المخزومي

قال ابن إسحاق: وأبو وهب: خَالُ أَبِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ شريفاً، وله يقول شاعر من العرب [من الطويل]:

وَلَوْ بِأَبِي وَهْبٍ أَنَاخَتْ مَطِيَّتِي ... غَدَتْ مِنْ نَدَاهُ رَحْلُهَا غَيْرُ خَائِبِ
بِأَبْيَضَ مِنْ فَرْعَيْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ ... إِذَا حُصِّلَتْ أَنْسَابُهَا فِي الذَّوَائِبِ[1]
أَبِيٍّ لِأَخْذِ الضَّيْمِ[2] يَرْتَاحُ لِلنَّدَى ... تَوَسَّطَ جَدْاهُ فُرُوعَ الأَطَايِبِ
عَظِيمُ رَمَادِ الْقِدْرِ يَمْلأُ جِفَانَهُ ... مِنَ الْخُبْزِ يَعْلُوهُنَّ مِثْلُ السَّبَائِبِ[3]

قريش تقسم الكعبة فيما بينها فيأخذ كل قوم قسماً

ثُمَّ إِنَّ قُرَيْشاً تجزَّأتِ الكَعْبَةَ: فَكَان شِقُّ البابِ[4] لِبَنِي عبد مناف وزهرة، وكان مَا بين الرُّكن الأَسْوَدِ والرُّكْنِ اليَمَانِي لبني مَخْزُومٍ وقبائل مِنْ قُرَيْشٍ انضمُّوا إِلَيْهِمْ، وَكَانَ ظَهْرُ الكَعْبَةِ لبني جُمَح وسَهْم ابنَيْ عَمْرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي، وكَانَ شِقُّ الحِجْر لبني عبد الدَّارِ بن قُصَي ولبني أسد بن الْعُزَّى بن قصي ولبني عَدِيّ بن كعبِ بن لؤي - وهو الحطيم[5] -.

الوليد بن المغيرة يبدأ هدم الكعبة

ثم إن الناس هابوا هَدْمَها وفَرِقُوا منه[6]، فقالَ الوليدُ بن المغيرة: أنا أَبْدَؤُكم في هَدْمِهَا، فأخذ الْمِعْوَلَ[7]، ثُمَّ قَامَ عَلَيْهَا وَهُوَ يقول: اللَّهُمَّ لَمْ تُرَعْ[8] (قال ابن هشام: ويقال لم نَزِغ)، اللَّهُمَّ إِنَّا لا نُرِيدُ إِلاَّ الْخَيْرَ، ثم هَدَمَ مِنْ نَاحِيَةِ الرُّكْنَيْنِ، فتربَّص النَّاسُ تِلْكَ الليلةَ، وقالوا: ننظُرُ فَإِنْ أُصِيبَ لَمْ نَهْدِمْ مِنْهَا شَيئاً رددناها كما كَانَتْ، وَإِنْ لَمْ يصبه شَيءٌ، فقد رضي الله صنعنا فهدمنا، فَأَصْبَحَ الوليدُ من ليلته غَادِياً على عَمَلِهِ، فَهَدَمَ وَهَدَمَ النَّاسُ

---

(١) الذَّوائب هنا: الأعالي، وأراد به الأنساب الكريمة.

(٢) الضَّيْمُ: الذُّلُّ، وقد تقدم.

(٣) السَّبائب: هو جمع سبيبة، وهي ثياب رقاق بيض، فشبه الشحم الذي يعلو الجفان بها.

(٤) الشق هنا: الناحية والجانب، وأصل شق الشيء نصفه، يقال: هذا شق وشقته، بمعنى واحد.

(٥) يقال: سُمي حطيماً لأن الناس يزدحمون فيه حتى يحطم بعضهم بعضاً، وقيل: لأن الثياب كانت تجرد فيه عند الطواف، على حسب ما يأتي بعد هذا.

(٦) فَرِقُوا: أي خافوا.

(٧) المعول بالعين المهملة: الفأس التي تكسر بها الحجارة.

(٨) لم تَرَعْ، أي: لم تَفزع، ومن قال: لم تُرَع: فإنما يعني الكعبة فأضمرها لتقدم ذكرها، ومن قال: لم تَزِغْ، فمعناه: لم تمل عن دينك ولا خرجت عنه، يقال: زاغَ عن كذا، إذا خرج عنه.

مَعَهُ، حَتَّى إِذَا انتهى الهَدْمُ بِهِمْ إِلَى الأَسَاس أساسِ إِبْرَاهِيم أَفْضَوْا إلى حجارة خُضْرٍ كالأسنمة[1] آخذٍ بعضُها بعضاً.

قال ابن إسحاق: فحدثني بعض من يروي الحديث أن رجلاً من قريش، ممن كان يهدمها، أدخل عَتَلَةً بين حجرين منها لِيَقْلَعَ بها أحدهما، فَلَمَّا تَحَرَّكَ الحَجَرُ تَنَقَّضَتْ[2] مكةُ بأسرها، فانتهوا عن ذلك الأساسِ.

قال ابن إسحاق: وحُدِّثْتُ أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسُّرْيانية، فلم يدروا ما هو، حتى قرأه لهم رجل (٣٥/ ب) من يهود، فَإِذَا هُوَ «أَنَا الله ذُو بَكَّة[3]؛ خلقتُها يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَصَوَّرْتُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَحَفَفْتُهَا بِسَبْعَةِ أَمْلاَكٍ حُنَفَاء، لاَ تَزُولُ حَتَّى يَزُولَ أَخْشَبَاهَا[4]، مُبَارِكٌ لأَهْلِهَا فِي المَاءِ وَاللَّبَنِ».

قال ابن هشام: أَخْشَبَاهَا: جَبَلاَهَا.

قال ابن إسحاق: وحُدِّثت أنهم وجدوا في المَقَامِ كِتَاباً فيه «مَكَّةُ بَيْتُ اللهِ الحَرَامُ، يَأْتِيهَا رِزْقُهَا مِنْ ثَلاَثَةِ سُبُلٍ[5]، لا يُحِلُّهَا أَوَّلُ مِنْ أَهْلِهَا».

قال ابن إسحاق: وزعم ليث بن أبي سُلَيم أَنَّهُمْ وجَدُوا حَجَراً في الكَعْبَةِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأربعين سَنَةٍ ـ إن كان ما ذكر حقًّا ـ مكتوباً فيه «مَنْ يَزْرَعْ خيراً يَحْصِدْ غِبْطَةً[6]، ومَنْ يَزْرَعْ شَرًّا يَحْصِدْ نَدَامةً، تَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ وتُجْزَوْنَ الحَسَنَاتِ!!! أَجَلْ[7]، كَمَالاَ يُجْتَنَى مِنَ الشَّوْكِ الْعِنَبُ» [١٤٧].

اختلاف قريش في وضع الحجر الأسود

قال ابن إسحاق: ثم إنَّ القبائلَ من قريش جمعتِ الحجارة لبنائها، كلُّ قبيلة تجمعُ

---

[١٤٧] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠) من طريق ابن إسحاق.

---

(١) كالأَسْنِمَة، وهو جمع سنام: هو أعلى الظهر، وأراد أن الحجارة دخل بعضها في بعض كما تدخل عظام السنام بعضها في بعض، فشبهها بها، ومن رواه: كالأسنة، فهو جمع سنان الرمح، شبهها بالأسنة في الخضرة.

(٢) تنقَّضت مكة: أي اهتزت.

(٣) بكَّة: من أسماء مكة، يقال سميت كذلك لأن الناس يتباكون فيها أي يزدحمون، ويقال: بكة اسم المسجد ومكة اسم البلدة.

(٤) أخشَبَاها، يعني جبليها، والأخشبان: جبلان بمكة.

(٥) سُبُل: أي طرق.

(٦) الغِبطة: السرور بالشيء والفرح.

(٧) أجل: هي كلمة بمعنى نعم.

على حِدَةٍ، ثم بَنَوْها، حتَّى بَلَغَ البنيانُ موضع الرُّكْنِ[1]، فاختصموا فيه، كلُّ قبيلة تريدُ أَنْ ترفَعهُ إِلَى مَوْضِعِه دُونَ الأُخْرَى، حَتَّى تحاوروا[2]، وتحالَفُوا وأعدُّوا لِلْقِتَالِ، فقربت بنو عَبْدِ الدَّارِ جَفْنَةً مملوءة دَماً، ثم تعاقدوا هم وبنو عديِّ بن كعب بن لُؤَي على الموت، وَأَدْخَلُوا أيديهم فِي ذَلِكَ الدَّمِ في تِلْكَ الْجَفْنَة، فسُمُّوا لَعَقَة الدَّمِ، فمكثت قريش على ذلك أربعَ ليالٍ أو خمساً، ثُمَّ إِنَّهُمُ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ، وتشاوروا، وَتَنَاصَفُوا.

النبي ﷺ يحكم بينهم فيحسم الخلاف

فَزَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الرِّوايةِ أَنَّ أَبا أُمَيَّةَ بْنَ المغيرة بن عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَر بنِ مَخْزُومٍ، وَكَانَ عَامَئِذٍ أَسَنَّ قُرَيْشٍ كُلِّها، قال: يَا مَعْشَرَ قريشٍ، اجعلوا بينكم ـ فيما تختلفون فيه ـ

أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هَذَا المسجدِ يَقْضِي بَيْنَكُمْ فِيهِ، فَفَعَلُوا، فَكَانَ أَوَّلَ دَاخِلٍ رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَلَمَّا رَأَوْه قالوا: هذا الأَمِينُ، رَضِينَا، هَذَا مُحَمَّدٌ؛ فَلَمَّا انتهى إِلَيْهِم أَخْبَرُوه الخَبَرَ، فَقالَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلُمَّ إِلَيَّ ثَوْباً»[3] فَأُتِي بِه فَأَخَذَ الرُّكْنَ، فَوَضَعَهُ فيه بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لِتَأْخُذْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوبِ»[4] ثُمَّ ٱرْفَعُوهُ جَميعاً،

---

(١) حتى بلغ البنيان موضع الركن: يعني بالركن هنا: الحجر الأسود، وسمي ركناً؛ لأنه مبني في الركن.

(٢) تحاوروا: هكذا وقعت هنا، وعند أبي ذر: «تحاوزوا». وقال: «تَحاوزوا، أي: انحازت كل قبيلة إلى جهة.

(٣) هَلُمَّ إِلَيَّ ثوباً: هي كلمة سمي بها الفعل، وفيها لغتان: فلغة أهل الحجاز أن لا يثنوها ولا يجمعوها ولا يؤنثوها، ولغة غيرهم أن يثنوها ويجمعوها ويؤنثوها. وجاء القرآن على لغة الحجاز قال الله عز وجل: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾، ومعناه أقبلوا إلينا.

(٤) وروى يعقوب بن سفيان عن ابن شهاب أن قريشاً لما بنوا الكعبة فبلغوا موضع الركن اختصمت في الركن أي القبائل تلي رفعه فقالوا: نحكم أول من يطلع علينا. فطلع عليهم رسول الله ﷺ وهو غلام فحكموه فأمر بالركن فوضع في ثوب ثم أخرج سيد كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن فوضعه هو، ثم طفق لا يزداد على السن إلا رضاً حتى دعوه الأمين قبل أن ينزل عليه الوحي، فطفقوا لا ينحرون جزوراً إلا التمسوه فيدعو لهم فيها.
وروى ابن سعد وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: لما وضع رسول الله ﷺ الركن ذهب رجل من أهل نجد ليناول النبي ﷺ حجراً يشد به الركن فقال العباس: لا. وناول العباس رسول الله ﷺ حجراً فشد به الركن فغضب النجدي وقال: واعجباً لقوم أهل شرف وعقول وأموال عمدوا إلى رجل أصغرهم سناً وأقلهم مالاً فرأسوه عليهم في مكرمتهم وحرزهم كأنهم خدم له! أما والله ليفرقنهم شيعاً وليقسمن بينهم حظوظاً وجدودا. فيقال إنه إبليس ـ زاد غيره: فكاد يثير شرًّا فيما بينهم ثم سكنوا.
وقال هُبَيْرة بن أَبي وَهْب المخزوميّ حين جعلت قريشٌ رسول الله ﷺ حكماً [من الطويل]:
تَشاجَرَتِ الأَحْياءُ فِي فَصْلِ خُطَّةٍ جَرَتْ طَيْرُهُمْ بالنَّحْسِ مِنْ بَعْدِ أَسْعُدِ =

فَفَعَلُوا، حَتَّى إِذَا بَلَغُوا بِهِ مَوْضِعَهُ وَضَعَهُ هو بيده، ثُمَّ بَنَى عَلَيْهِ، وكَانت قُرَيْشٌ تُسَمِّي رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَبْلَ أَنْ ينزلَ عليه الوحيُ ـ الأَمِينَ [١٤٨].

شعر الزبير بن عبد المطلب في بناء الكعبة

فلما فَرَغُوا من البنيانِ وبَنَوْها عَلَى ما أرادُوا قال الزُّبَيْرُ بن عبد المطلب فيما كانَ من أمرِ الحَيَّةِ الَّتِي كَانَتْ، قُرَيْشٌ تَهَابُ بنيانَ الكَعْبَةِ لَهَا [من الوافر]:

عَجِبْتُ لِمَا تَصَوَّبَتِ الْعُقَابُ ... إِلَى الثُّعْبَانِ وَهْيَ لَهَا اضْطِرَابُ
وَقَدْ كَانَتْ يَكُونُ لَهَا كَشِيشٌ ... وَأَحْيَاناً يَكُونُ لَهَا وِثَابُ[1]

---

[١٤٨] ذكره بتمامه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٧٠ ـ ٣٧١) عن ابن إسحاق. وكلام ابن إسحاق له شواهد من حديث علي بن أبي طالب والسائب بن عبد الله وابن عباس والزهري مرسلاً

حديث علي:

أخرجه الحاكم (١/ ٤٥٨) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٥٦ ـ ٥٧) وفيه: فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فقالوا: نحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة فكان رسول الله ﷺ أول من خرج عليهم فقضى بينهم أن يجعلوه في مرط ثم ترفعه جميع القبائل كلهم.

ـ حديث السائب بن عبد الله

أخرجه أحمد (٣/ ٤٢٥) والحاكم (١/ ٤٥٨) بنحو حديث علي. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

ـ حديث ابن عباس

أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١١٥ ـ ١١٧) وفي إسناده محمد بن عمر الواقدي وهو متروك.

ـ مرسل الزهري

أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٥٧).

= تَلاَقَوْا لَهَا بِالْبُغْضِ بَعْدَ مَوَدَّةٍ ... وَأَوْقَدَ نَاراً بَيْنَهُم شَرُّ مُوقِدِ
فَلَمَّا رَأَيْنَا الأَمْرَ قَدْ جَدَّ جِدُّهُ ... وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ غَيْرَ سَلِّ الْمُهَنَّدِ
رَضِينَا وَقُلْنَا: الْعَدْلُ أَوَّلُ طَالِعٍ ... يَجِيءُ مِنَ الْبَطْحَاءِ عَنْ غَيْرِ مَوْعِدِ
فَلَمْ يَفْجَئَنَا إِلاَّ الأَمِينُ مُحَمَّدٌ ... فَقُلْنَا: رَضِينَا بِالأَمِينِ مُحَمَّدِ
بِخَيْرِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا أَمْرَ دِيمَةٍ ... وَفِي الْيَوْمِ مَعْ مَا يُحْدِثُ اللهُ فِي الْغَدِ
فَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ ... أَعَمَّ وَأَرْضَى فِي الْعَوَاقِبِ وَالْبَدِ
أَخَذْنَا بِأَكْنَافِ الرِّدَاءِ وَكُلُّنَا ... لَهُ حِصَّةٌ مِنْ رَفْعِهِ قَبْضَةُ الْيَدِ
فَقَالَ: ارْفَعُوا حَتَّى إِذَا مَا عَلَتْ بِهِ ... أَكُفُّهُمْ وَافَى بِهِ غَيْرَ مُسْنَدِ
وَكَانَ رَضِينَا ذَاكَ عَنْهُ بِعِينِهِ ... وَأَعْظِمْ بِهِ مِنْ رَأْيِ هَادٍ وَمُهْتَدِ
لَتِلْكَ يَدٌ مِنْهُ عَلَيْنَا عَظِيمَةٌ ... يَرُوحُ بِهَا رَكْبُ الْعِرَاقِ وَيَغْتَدِي

ينظر: السبل (٢/ ١٧١ ـ ١٧٢).

(١) الكَشِيشُ: الصوت وقد تقدم، وثابٌ: من الوثوب.

إِذَا قُمْنَا إِلَى التَّأْسِيسِ شَدَّتْ ... تُهَيِّبُنَا الْبِنَاءَ وَقَدْ تُهَابُ
فَلَمَّا أَنْ خَشِينَا الرَّجْزَ جَاءَتْ ... عُقَابٌ تَتَلَئِبُّ لَهَا انْصِبَابُ[1]
فَضَمَّتْهَا إِلَيْهَا ثُمَّ خَلَّتْ ... لَنَا الْبُنْيَانَ لَيْسَ لَهُ حِجَابُ
فَقُمْنَا حَاشِدِينَ إِلَى بِنَاءٍ ... لَنَا مِنْهُ الْقَوَاعِدُ وَالتُّرَابُ
غَدَاةَ نُرَفِّعُ التَّأْسِيسَ مِنْهُ ... وَلَيْسَ عَلَى مُسَوِّينَا ثِيَابُ
أَعَزَّ بِهِ الْمَلِيكُ بَنِي لُؤَيٍّ ... فَلَيْسَ لِأَصْلِهِ مِنْهُمْ ذَهَابُ
وَقَدْ حَشَدَتْ هُنَاكَ بَنُو عَدِيٍّ ... وَمُرَّةُ قَدْ تَقَدَّمَهَا كِلَابُ
فَبَوَّأَنَا الْمَلِيكُ بِذَاكَ عِزًّا ... وَعِنْدَ اللَّهِ يُلْتَمَسُ الثَّوَابُ[2]

قال ابن هشام: ويروى «وليس عَلَىٰ مَسَاوِينَا ثِيَابُ».

وكانت الكعبة (٣٦/أ) على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ ثماني عشرة ذِرَاعاً، وكانت تكسي الْقَبَاطِيَّ[3] ثم كسيت الْبُرود[4]، وأولُ من كساها الديباج الحجَّاجُ بن يوسف [١٤٩].

حَدِيثُ الْحُمْسِ

قريش تبتدع أشياء تزعمها دينًا

قال ابن إسحاق: وقد كانت قريش ـ لا أَدْرِي أَقَبْلَ الفِيْلِ أَمْ بَعْدَهُ ـ ابتدعت رأى الْحُمْسِ[5] رأيا رَأَوْهُ وأَدَارُوه، فَقالوا: نحن بنو إبراهيم، وأهلُ الحرمة، وولاةُ البيت، وقُطَّانُ مَكَّة وساكنها؛ فليس لأَحَدٍ مِنَ العَرَبِ مثل حقنا، ولا مثل منزلتنا، ولا تعرفُ له العربُ مثل ما تعرف لنا، فلا تعظموا شيئاً من الحِلِّ كما تعظمون الْحَرَم؛ فإنكم إنْ فعلتم ذلك استَخَفَّتِ العَرَبُ بحرمتكم، وقالوا: قد عَظَّموا من الحِلِّ مثل ما عظموا مِنَ الحَرَم: فتركوا الوقوفَ عَلَى عَرَفَةَ، والإِفَاضَةَ مِنْهَا، وهم يعرفون ويُقِرُّون أنها مِنَ الْمَشَاعِرِ[6]

---

[١٤٩] ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٧١) عن ابن إسحاق.

---

(١) والرَّجْز: العذاب، فمن رواه الرِّجْز، فمعناه: المنعُ. وتَتَلَئِبُّ: تتابع في انقضاضها.

(٢) فبوأنا: أي أحلنا وأوطننا، يقال: بَوَّأْتُهُ موضع كذا وكذا إذا أوطنته إياه.
وينظر: البداية والنهاية (٢/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣).

(٣) كانت تُكْسى القباطيَّ: هي ثياب بيض كانت تصنع بمصر.

(٤) البرود: ضرب من ثياب اليمن.

(٥) الحمس: سموا حمساً؛ لأنهم اشتدوا في دينهم على زعمهم، مأخوذ من الحماسة وهي الشدة.

(٦) المشاعر: المواضع المشهورة في الحج، لا يتم الحج إلا بها، من الشعار وهي العلامة.

والحَجِّ ودين إبراهيم صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويَرَوْنِ لِسَائِرِ العَرَبِ أَنْ يَقِفُوا عليها، وَأَنْ يفيضوا منها، إلاَّ أَنَّهُمْ قَالُوا: نَحْنُ أَهْلُ الحَرَم فليس ينبغي لنا أَنْ نخرجَ مِنَ الحرمة ولا نُعَظِّمَ غيرها كما نعظمها، نحن الْحُمْسُ، والْحُمْسُ أهل الحرم، ثُمَّ جعلُوا لِمَنْ ولدوا من العربِ من ساكنِ الحِلّ والحَرَمِ مثلَ الَّذِي لَهُمْ، بولادتهم إياهم يحل لهم ما يحل لهم، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم، وكانت كنانةُ وخُزَاعَةُ قَدْ دَخَلُوا مَعَهُم فِي ذَلِكَ [١٥٠].

قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة النحويُّ أَنَّ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ دَخلُوا مَعَهُمْ فِي ذَلِكَ، وأَنشدَنِي لعَمْرو بن مَعْد يكرب [من الطويل]:

أَعَبَّاسُ لَوْ كَانَتْ شِيَاراً جِيَادُنَا ... بِتَثْلِيثَ مَا نَاصَيْتَ بَعْدِي الأَحَامِسَا[1]

قال ابن هشام: تَثْلِيثُ: موضع من بلادهم، والشِّيارُ: الحِسَانُ.

يعني بِالأَحَامِسِ: بني عامر بن صعصعة، وعَبَّاسُ: عباسُ بن مِرْدَاس السُّلَمي، وكان أغار على بني زبيد بتثليث، وهذا البيت في قصيدة لعمرو.

يوم جبلة

وأنشدني للَقِيط بن زُرارة الدَّارِميّ في يوم جَبَلَةَ [من الرجز]:

أَجْذِمْ إِلَيْكَ إِنَّهَا بَنُو عَبْسِ ... أَلْمَعْشَرُ الْجِلَّةُ فِي الْقَوْمِ الْحُمْسِ[2]

لأن بني عَبْسٍ كانُوا يَوْم جَبلةَ حُلَفَاء في بني عامر بن صعصعة، ويوم جبلة: يوم كان

---

[١٥٠] ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) عن ابن إسحاق.

وأخرج البخاري (٤/ ٣٢٧) كتاب الحج: باب الوقوف بعرفة حديث (١٦٦٥) ومسلم (٢/ ٨٩٤) كتاب الحج: باب في الوقوف حديث (١٢١٩/١٥٢) من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال: كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الحمس ـ والحُمس قريش وما ولدت وكانت الحمس يحتسبون على الناس يعطى الرجل الرجل الثياب يطوف فيها وتعطى المرأة المرأة الثياب تطوف فيها فمن لم يعطه الحمس طاف بالبيت عرياناً وكان يفيض جماعة من الناس من عرفات وتفيض الحمس من جمع.

---

(١) شِياراً جيادُنا: من الشآرة الحسنة، يعني: سماناً حساناً، وتثليث: موضع، وناصيت، بالياء وبالباء معاً، معناه: عارضت وأردت المساواة في المنزلة، وقد يكون ناصبت بالباء بواحدة، بمعنى: إظهار العداوة.

وينظر: ديوانه (ص: ١٢٥)، ولسان العرب (٤/ ٤٣٥) (شور)، (٦/ ٥٨) (حمس)، (١٥/ ٣٢٧) (نصا)، وديوان الأدب (٣/ ٣٧٥)، وتهذيب اللغة (٤/ ٣٥٥)، (١١/ ٤٠٤)، وتاج العروس (١٥/ ٥٥٦) (حمس)، (نصا) ومجمل اللغة (٣/ ١٨٥)، وأساس البلاغة (حمس).

(٢) أجْذِم إليك: هي كلمة تزجر بها الخيل، والمعشر الجلّة؛ يعني: العظماء، ومن رواه: الحلّة بالحاء المهملة، فمعناه الذين يسكنون في الحل.

بين بني حَنْظَلَةَ بْنَ مَالِكِ بنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيم وبين بني عامر بن صَعْصَعَةَ، فَكَانَ الظَّفَرُ فيه لبني عامر بن صَعْصَعَةَ على بَنِي حَنْظَلة، وقُتل يومئذ لَقِيط بن زُرَارة بن عُدَس[1]، وأُسِرَ حَاجِبُ بن زُرَارَةَ بن عُدَس، وانهزم عَمْرو بن عَمْرو بن عُدَس بن زَيْد بن عَبْد الله بن دَارِم بن مَالك بن حَنْظلة، ففيه يقول جرير للفرزدق [من الطويل]:

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيطاً وَحَاجِباً ... وَعَمْرَو بْنَ عَمْرٍو إِذْ دَعَوْا يَا لَدَارِمِ[2]

وَهَذَا البيتُ في قصيدةٍ لَهُ.

يوم ذي نجب

ثُمَّ التقوا يَوْمَ ذِي نَجَب، فَكَانَ الظَّفَرُ لِحَنْظَلَة على بني عَامِرٍ، وقُتِلَ يومئذ حَسَّان بن مُعَاوية الْكِنْدِيّ، وهو بن كبشة، وأُسر يزيد بن الصَّعِق الْكِلاَبي، وانهزم الطُّفَيْلُ بن مالك بن جَعْفر بنِ كلاب أبو عَامِر بن الطُّفَيْلِ؛ ففيه يقول الفرزدق [من الطويل]:

وَمِنْهُنَّ إِذْ نَجَّى طُفَيْلُ بْنُ مَالِكٍ ... عَلَى قُرْزُلٍ رَجْلاَ رَكُوضَ الْهَزَائِمِ[3]

وَنَحْنُ ضَرَبْنَا هَامَةَ ابْنِ خُوَيْلِدٍ ... يَزِيدَ عَلَى أُمِّ الْفِرَاخِ الْجَوَاثِمِ[4]

وهذان البيتان في قصيدة له، فقال جرير (٣٦/ب) [من الطويل]:

وَنَحْنُ خَضَبْنَا لابْنِ كَبْشَةَ تَاجَهُ ... وَلاَقَى امْرَأً فِي ضَجَّةِ الْخَيْلِ مِصْقَعَا[5]

وهذا البيت في قصيدة له، وحديث يوم جَبَلة ويوم ذي نَجَبٍ أَطْوَلُ مما ذكرنا، وإنما منعني من استقصائه ما ذكرت في حديث يَوْمِ الفِجَارِ.

عود إلى ذكر ما ابتدعه الحمس

قال ابن إسحاق: ثم ابتدعوا في ذلك أُموراً لم تكن لهم، حتى قالوا: لا ينبغي

---

(١) ابن عُدس: جميع النسابين يقولون فيه عدس بضم الدال في هذا، وأبو عبيدة وحده يفتحها في هذا.

(٢) ينظر ديوانه ص (٤٢٦) وفيه: «وعمرو» بدل «وعمر».

(٣) على قُرْزُلٍ: هو اسم فرس كانت لطفيل بن مالك.

(٤) أم الفِراخ؛ يعني: الدماغ، والجواثِمُ: الساكتة اللاطئة مع الأرض، وهي استعارة كما يقولون: طارت عصافير رأسه، وهي استعارة أيضاً.
وينظر: الروض الأنف (١/ ٢٣٢).

(٥) الضَّجَّةُ: الأصوات المختلطة. ومصقعاً: المشهور في اللغة أن المصقع الخطيب البليغ الفصيح، ويبعد وقوعه في هذا الموضع إلا أن يكون المصقع هنا من صقعه إذا ضربه على شيء يابس فيشبه أن يكون مصقع في هذا البيت من هذا، فيقال رجل مصقع كما يقال رجل محرب.
وينظر: ديوانه ص (٢٥٥).

لِلْحُمْسِ أَنْ يَأْتَقِطوا الأقطَ، ولا يَسْلَئُوا السَّمْنَ[1] وهم حُرُم، ولا يدخلوا بيتاً من شَعَر، وَلاَ يَسْتَظِلُّوا إِنْ اسْتَظَلُّوا إِلاَّ فِي بُيُوتِ الأَدَمِ[2]، مَا كَانُوا حَرَماً، ثُمَّ رَفَعُوا فِي ذَلِكَ، فقالوا: لاَ يَنْبَغِي لأَهْلِ الحِلِّ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْ طَعَامٍ جَاءُوا بِهِ مَعَهُمْ مِنَ الحِلِّ إِلَى الحَرَمِ إِذَا جَاءُوا حُجَّاجاً أو عُمَّاراً، ولا يَطُوفُوا بالبيتِ إِذَا قَدِمُوا أولَ طَوَافِهِمْ إِلاَّ في ثياب الْحُمْسِ؛ فإن لَمْ يَجِدُوا منها شيئاً طافوا بالبيتِ عُرَاةً، فَإِنْ تَكَرَّم منهم متكرم مِنْ رَجُلٍ أو امرأةٍ وَلَمْ يجدْ ثيابَ الْحُمْسِ فطافَ فِي ثيابِهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا مِنَ الحِلِّ أَلْقَاها إِذَا فَرَغَ مِنْ طوافه، ثم لم ينتفع بها، ولم يمسها هو ولا أحد غيره أبداً، وكانت العرب تسمي تلك الثياب اللَّقَى[3]، فَحَمَلُوا عَلَىٰ ذَٰلِكَ العَرَبَ، فَدَانَتْ بِهِ، وَوَقَفُوا عَلَىٰ عَرَفَاتٍ، وَأَفَاضُوا مِنْهَا، وَطَافُوا بالبيتِ عُرَاةً، أَمَّا الرِّجَالُ فيطوفُونَ عُرَاةً، وأما النِّسَاءُ فَتَضَعُ إحداهُنَّ ثيابها كلها إِلاَّ دِرْعاً مُفَرْجاً[4] عليها ثم تطوفُ فيه، فقالت امرأة من العرب وهي كذلك تطوف بالبيت [من الرجز]:

أَلْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ ... وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلاَ أُحِلُّهُ[5]

وَمَنْ طَافَ منهم في ثيابِهِ الَّتِي جاءَ فيها من الحِلِّ أَلْقَاهَا فَلَمْ ينتفعْ بها هُوَ وَلاَ غَيْرُه، فقال قائل من العرب يذكر شيئاً تركه من ثيابه فلا يَقْرَبُه وهو يحبه [من الطويل]:

كَفَىٰ حَزَناً كَرْيٰ عَلَيْهَا كَأَنَّهَا ... لَقًى بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيمُ[6]

يقول: لا تُمَسُّ

القرآن يبطل ما ابتدعه الحمس

فكانُوا كذلك حَتَّى بَعَثَ الله تعالى مُحَمداً ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فأنزلَ عليه حِينَ

---

(١) يأتقطوا: أي يصنعوا الأقِطَ وهو شيء يصنع من اللبن ويُجفف فيؤكل، ويقال إنما يصنع من اللبن الحامض خاصة، ولايَسْلَئُوا السَّمن: أي لا يذيبوا الزبد ويصيروه سمناً.

(٢) الأدم؛ يعني: الأخبية التي تصنع من الجلد.

(٣) اللقى: الشيء الملقى، ويقال المنسي، وجمعه ألقاء.

(٤) المُفَرَّج: المشقوق من قُدَّام وخلف.

(٥) ينظر: لسان العرب (حرم) وتاج العروس (ضبع) وتهذيب اللغة (٥/٤٨).

(٦) ويروى هذا البيت هكذا [من الطويل]:

كفى حزناً كَرْي عليه كأنه ... لَقًى بين أيدي الطائفين حريم

ينظر: لسان العرب (١٢/ ١٢٠) (حرم)، ومقاييس اللغة (٢/ ٤٦)، مجمل اللغة (٢/ ٥٠)، وكتاب العين (٣/ ٢٢٣)، وتاج العروس (حرم).

أحكم له دِينَهُ، وَشَرَعَ لَهُ سُنَنَ حَجِّه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة: ١٩٩] يعني قُرَيْشاً؛ والنَّاسُ: العَرَبُ، فرفعهم في سنة الحج إلى عرفات والوقوف عليها والإفاضة منها؛ وأنزلَ الله عليه فيما كانوا حَرَّمُوا على النَّاسِ من طَعَامِهِمْ ولبوسهم عند البَيْتِ حِينَ طَافُوا عُرَاةً وَحَرَّموا ما جَاءُوا بِهِ مِنَ الحِلِّ مِنَ الطَّعَامِ: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢] فَوَضَعَ الله تَعَالَى أَمْرَ الْخُمْسِ، وَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ ابْتَدَعَتْ مِنْهُ، عَنِ النَّاسِ بِالإِسْلاَمِ، حِينَ بَعَثَ الله بِهِ رَسُولَهُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١٥١].

رسول الله يبطل ما ابتدعه الحمس قبل نزول القرآن

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم، عن عمه نافع بن جبير، عن أبيه جبير بن مطعم، قال: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عليه الوَحْيُ وَإِنَّهُ لَوَاقِفٌ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ بِعَرَفَاتٍ مَعَ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ حَتَّى يَدْفَعَ (٣٧/ أ) مَعَهُمْ مِنْهَا، تَوفِيقاً مِنَ اللهِ لَهُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً [١٥٢].

---

[١٥١] ذكره بطوله الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤).

[١٥٢] إسناده حسن

عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم. ثقة أخرج له الجماعة. ينظر التقريب (١/ ٤٠٥) وعثمان بن أبي سليمان. ثقة ينظر «التقريب» (٢/ ٩) وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث. والحديث أخرجه أحمد (٤/ ٨٢) وابن خزيمة (٤/ ٣٥٣) رقم (٣٠٥٧) وإسحاق بن راهويه كما في «الفتح» (٤/ ٣٢٨) كلهم من طريق ابن إسحاق به وصححه ابن خزيمة. وللحديث طريق آخر.

فأخرجه البخاري (٤/ ٣٢٧) كتاب الحج: باب الوقوف بعرفة حديث (١٦٦٤) من طريق عمرو بن دينار ثنا محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير بن مطعم به. ومن هذا الوجه أخرجه مسلم (٢/ ٨٩٤) كتاب الحج باب في الوقوف حديث (١٥٣/ ١٢٢٠) والحميدي في «مسنده» (٥٥٩).

استدراك:

الحديث من طريق ابن إسحاق أخرجه أيضاً الطبراني في «الكبير» (٢/ ١٣٦) رقم (١٥٧٧، ١٥٧٨) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٧).

أَخْبَارُ الْكُهَّانِ مِنَ الْعَرَبِ، وَالأَحْبَارِ مِنَ الْيَهُودِ وَالرُّهْبَانِ مِنَ النَّصَارَىٰ

أحبار اليهود ورهبان النصارى ومصدر علمهم بصفات النبي

قال ابن إسحاق: وَكَانَتِ الأَحْبَارُ مِنْ يَهُودٍ والرُّهْبَانُ مِنَ النَّصَارَى والكُهَّانُ مِنَ العَرَبِ قد تحدثوا بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَبْعَثِهِ، لما تقاربَ مِنْ زَمَانِهِ: أَمَّا الأحبارُ من يهود والرُّهْبَانُ من النصارى فَعَمَّا وجدوا في كتبهمْ مِنْ صفتِه وصفةِ زَمَانِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ عهدِ أنبيائهمْ إِلَيْهِمْ فِيهِ، وَأَمَّا الكُهَّانُ مِنَ العَرَبِ فأتتهم به الشَّياطِينُ من الجنِّ فيما تَسْتَرِقُ مِنَ السَّمْعِ، إِذْ كَانَتْ وهي لاَ تُحْجَبُ عَنْ ذلك بالقذف من النُّجوم، وكان الكَاهِنُ والكَاهِنَةُ لاَ يَزَالُ يَقَعُ منهما ذِكْرُ بَعْضِ أُمورِهِ، لا تُلْقِي العربُ لذلك فيه بَالاً، حَتَّى بعثه الله تعالَى، وَوَقَعَتْ تِلْكَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا يَذْكُرُونَ؛ فَعَرَفُوهَا؛ فَلَمَّا تَقَارَبَ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحَضَرَ مَبْعَثُه حُجِبتِ الشَّياطِينُ عَنِ السَّمْعِ،

الشهب ترجم مسترقي السمع

وحِيلَ بينها وبَيْنَ المَقَاعِدِ الَّتِي كَانَتْ تَقْعُدُ لاِسْتِرَاقِ السَّمْعِ فيهَا، فَرَمُوا بالنجوم فعرفت الجِنُّ أَنَّ ذلك لأمر حَدَثَ مِنْ أَمْرِ اللهِ في العِبَادِ؛ يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لنبيه محمدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حينَ بَعَثَهُ - وهو يقصُّ عليه خَبَرَ الجِنِّ إِذْ حُجِبُوا عَنِ السَّمْعِ فعرفوا ما عَرَفُوا وما أنكروا من ذَلِكَ حينَ رَأَوْا ما رأوا ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَٰنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ - إلى قوله: - وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [الجن: ١ - ١٠] فلما سَمِعَتِ الجِنُّ القُرآنَ عَرَفَتْ أَنَّها إِنَّما مُنِعَتِ مِنَ السَّمْعِ قبل ذلك لِئلاَّ يشكل الوَحْيُ بشيءٍ من خَبَرِ السَّمَاءِ؛ فيلتبس على أَهْلَ الأَرْضِ ما جاءهم من اللهِ فيه؛ لوقوعِ الحُجَّة، وَقَطْعِ الشُّبْهَة، فَآمَنُوا وَصَدَّقُوا، ثُمَّ ولَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ: ﴿قَالُوا يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠﴾ [الأحقاف: ٣٠] الآية. وكان قول الجن ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦] أنه كَانَ الرَّجُلُ مِنَ العَرَبِ، مِنْ قُرَيشٍ وغيرهم، إِذَا سَافَرَ فَنَزَلَ بَطْنَ وَادٍ مِنَ الأَرْضِ ليبيتَ فيه قال: إِنِّي أَعُوذُ بعزيزِ هَذَا الوَادِي مِنَ الجِنِّ اللَّيْلَةَ

مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ [١٥٣].

تفسير الرهق

قال ابن هشام: الرَّهْقُ: الطُّغْيَانُ والسَّفَهُ؛ قال رُؤْبَةُ بن العَجَّاج [من الرجز]:

إِذْ تَسْتَبِي الْهَيَّامَةَ الْمُرَهَّقَا[1]

وهذا البيت في أرجوزة له؛ والرَّهَقُ أيضاً: طَلَبُكَ الشَّيءَ حَتَّى تَدْنُوَ منه فتأْخُذَهُ أَوْ لاَ تَأْخُذَهُ؛ قال رؤبة بن العجاج يصف حَمِيرَ وَحْشٍ [من الرجز]:

بَصْبَصْنَ وَٱقْشَعْرَرْنَ مِنْ خَوْفِ الرَّهَقْ[2]

وهذا البيت في أرجوزة له؛ والرَّهَقُ أيضاً: مصدر لقول الرجل للرجل: رَهَقْتُ الإِثْمَ أو العُسْرَ الذي أَرْهَقْتَنِي رَهَقاً شَديداً، أي: حَمَلْتُ الإِثْمَ أو العُسْرَ الَّذِي حملتني حملاً شديداً، وفي كتاب الله تعالى ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠] وقوله: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٣].

عمرو بن أمية يذكر لثقيف رأياً في الشهب

قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عُتْبَة بن الْمُغيرة بن الأَخْنس، أنه حُدِّثَ، أن أَوَّلَ العَرَبِ فَزِعَ لِلرَّمْيِ بالنُّجوم ـ حين رُمي بها ـ هذا الْحَيّ من ثقيف، وأَنَّهُمْ جَاءُوا إِلَى رَجُلٍ منهم يُقَالُ له: عَمْرو بن أُمَيَّة (٣٧/ب) أحد بني عِلاَج؛ قال: وكان أَدْهَى العرب وأنكرَهَا[3] رأياً، فقالوا له: يا عَمْرو، ألم تَرَ مَا حَدَثَ فِي السَّمَاءِ مِنَ القَذْف بهذه النُّجوم؟ قال: بلى، فانظروا: فَإِنْ كَانَتْ مَعَالِمُ[4] النجوم؛ التي يُهْتَدى بها في البر والبَحْرِ وتُعْرَف بها الأَنْوَاءُ مِنَ الصَّيْفِ والشِّتَاءِ لما يُصْلِحُ النَّاسَ في مَعَايِشِهِمْ ـ هي التي يُرْمَى بها فهو واللهِ طَيُّ الدُّنْيَا وهَلاَكُ هذا الخلق الَّذي فيها، وإن كَانَتْ نُجُوماً غيرها، وهي ثابتة عَلَى حالها؛

---

[١٥٣] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٧٤) عن ابن إسحاق.

---

(١) تَسْتَبِي أي: تذهب بعقله، والهَيَّامَةُ: الكثير الهيام، وأصل الهيام: داء يصيب الإبل فتشتد حرارة أجوافها فلا تروى من الماء إذا شربت، ومنه قوله تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾، والمُرَهَّق: قد فسره ابن هشام.

(٢) بَصْبَصْنَ وٱقْشَعْرَرْنَ من خوف الرَّهَق، معناه: حركن أذنابهن.

(٣) وأنكرها رأياً، يروى بالباء والنون، فمن رواه بالنون فمعناه: أدهاها رأياً من النكر بفتح النون، وهو الدَّهاء، ومن رواه بالباء فمعناه: أبعدهم ابتداء لرأي لم يسبق إليه، من البكور في الشيء، وهو أوله.

(٤) معالم النجوم، يعني: النجوم المشهورة، وقد فسرها ابن إسحاق.

فهذا لأمرٍ أَرَادَ الله بِهِ هَذَا الخَلْقَ فَمَا هُوَ [١٥٤].

النبي ﷺ يحدث أصحابه عن الشهب

قال ابن إسحاق: فذكر محمد بن مُسْلم بن شهاب الزُّهْرِي، عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عن نفر من الأَنصَارِ، أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال لهم: «ما كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي هذا النَّجْمِ الَّذِي يُرْمَى بِهِ»؟ قالوا: يا نبي الله، كنا نقولُ حين رأيناها يُرْمى بها: مَاتَ مَلِكٌ، مُلِّكَ مَلِكٌ، وُلِدَ مَوْلُودٌ، مَاتَ مَوْلُودٌ، فقال رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ، وَلٰكِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ إِذَا قَضَى فِي خَلْقِهِ أَمْراً سَمِعَهُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، فَسَبَّحُوا فَسَبَّحَ مَنْ تَحْتَهُمْ، فَسَبَّحَ لِتَسْبِيحِهِمْ مَنْ تَحْتَ ذٰلِكَ، فَلاَ يَزَالُ التَّسْبِيحُ يَهْبِطُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَي السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسَبِّحُوا، ثُمَّ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مِمَّ سَبَّحْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: سَبَّحَ مَنْ فَوْقَنَا فَسَبَّحْنَا لِتَسْبِيحِهِمْ، فَيَقُولُونَ: أَلاَ تَسْأَلُونَ مَنْ فَوْقَكُمْ مِمَّ سَبَّحُوا، فَيَقُولُونَ مِثْلَ ذٰلِكَ، حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَي حَمَلَةِ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مِمَّ سَبَّحْتُمْ؟ فَيَقُولُون: قَضَى الله، فِي خَلْقِهِ كَذا وَكَذَا، للأمر الذي كان، فَيَهْبِطُ بِهِ الْخَبَرُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، حَتَّى يَنْتَهِي إِلَي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَتَحَدَّثُوا به، فَتَسْتَرِقَهُ الشَّيَاطِينُ بِالسَّمْعِ عَلَى تَوَهُّمٍ وَاخْتِلاَفٍ، ثُمَّ يَأْتُوا بِهِ الكُهَّانَ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ فَيُحَدِّثُوهُمْ بِهِ، فَيُخْطِئُونَ وَيُصِيبُونَ، فَيَتَحَدَّثُ بِهِ الْكُهَّانُ فَيُصِيبُونَ بَعْضاً وَيُخْطِئُونَ بَعْضاً، ثُمَّ إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ حَجَبَ الشَّيَاطِينَ بِهَذِهِ النُّجُومِ الَّتِي يُقْذَفُونَ بِهَا، فَانْقَطَعَتْ الْكَهَانَةُ الْيَوْمَ، فَلاَ كَهَانَةَ» [١٥٥].

قال ابن إسحاق: وحدثني عمرو بن أبي جعفر، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي لَبيبةَ، عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه، بمثل حديث ابن شِهابٍ عنه [١٥٦].

---

[١٥٤] ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٧٦) عن ابن إسحاق به. وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١٢٩) أخبرنا علي بن محمد عن يحيى بن معن أبي زكريا. العجلاني عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس به.

[١٥٥] رواية محمد بن إسحاق عن الزهري أشار إليها الإمام البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٣٧) فقال: ورواه محمد بن إسحاق بن يسار عن الزهري فقال في آخره: ثم إن الله عز وجل حجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم فانقطعت الكهنة فلا كهانة اهـ. وللحديث طريق آخر عن الزهري.
أخرجه مسلم (٤/ ١٧٥٠ ـ ١٧٥١) كتاب السلام: باب تحريم الكهانة حديث (١٢٤/ ٢٢٢٩) والترمذي (٥/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣) كتاب التفسير: باب ومن سورة سبأ حديث (٣٢٢٤) والنسائي في «التفسير» رقم (٢٩٢) وأحمد (١/ ٢١٨) وأبو يعلى (٤/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧) رقم (٢٦٠٩) وفي (١٣/ ١٣٧) رقم (٧١٨٢) والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٣/ ١١٣) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٤٣) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧) من طرق عن الزهري به وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

[١٥٦] إسناده ضعيف. محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة. ذكره يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» =

الغيطلة كاهنة بني سهم

قال ابن إسحاق: وحدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي سَهْمٍ يقالُ لَها: الْغَيْطلة، كَانتْ كَاهِنةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَهَا صَاحِبُهَا في ليلة من الليالي، فَانْقَضَ تحتها[1]، ثم قال: أذر ما أذر، يوم عَقْرٍ ونَحْر؛ قالت قريش ـ حين بَلَغَهَا ذَلِكَ ـ: مَا يُرِيدُ؟ ثُمَّ جَاءَها ليلةً أُخْرَى، فانقض تحتها، ثُمَّ قال: شُعُوبٌ ما شُعُوبْ[2]، تُصْرَع فيه كَعْبٌ لِجُنُوب؛ فلما بَلَغَ ذلك قُرَيشاً قَالُوا: مَاذَا يُرِيدُ؟ إِنَّ هَذَا لأمرٌ هُوَ كَائِنٌ، فانظُروا مَا هُوَ؟ فما عرفوه حَتَّى كَانَتْ وقعةُ بدرٍ وأحد بالشِّعب؛ فَعَرفُوا أنه الَّذِي كَانَ جَاءَ به إِلَى صَاحِبَتِهِ [١٥٧].

قال ابن هشام: الْغَيْطَلة: من بني مُرَّة بنِ عَبْد مَنَاة بن كِنانة إخوة مُدْلج بن مُرَّة، وهي أُمُّ الغَيَاطِلِ الَّذِينَ ذَكَرَ أَبُو طَالِبٍ في قوله [من الطويل]:

لَقَدْ سَفُهَتْ أَحْلامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا ... بَنِي خَلَفٍ قَيْضاً بِنَا وَالْغَيَاطِلِ[3]

فقيل لولدها «الغَيَاطِلُ» وهم من بني سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيص؛ وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها؛ إن شاء الله تعالى.

كاهن جنب يخبر قومه بنبوة النبي

قال ابن إسحاق: وحدثني علي بن نافع الجرشي، أن جَنْباً، بَطْناً من اليمن، كان لهم كاهن في الجاهلية، فلما ذكر أمر (٣٨/ أ) رسولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانتشر في العرب قالت له جَنْبٌ: انْظُرْ لَنَا فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ، واجتمعوا لَهُ في أَسْفَلِ جَبَلِهِ، فَنَزَلَ عَلَيْهِمْ ـ حينَ طَلَعَتِ الشَّمْسُ ـ فوقف لهم قائماً متكئاً على قَوْسٍ لَهُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى

= (٣/ ٤١) في باب من يرغب عن الرواية عنهم وذكره الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (٤٥٦) وقال الحافظ في «التقريب» (٢/ ١٨٤). كثير الإرسال.

وينظر تخريج الحديث السابق.

[١٥٧] إسناده ضعيف لجهالة شيوخ ابن إسحاق والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧) عن ابن إسحاق.

---

(١) فانقض تحتها، من رواه: أنقض، فمعناه: صوَّت. أي تكلم بصوت خفي، تقول: سمعت نقيض الباب ونقيض الرجل. أي صوتهما، ومن رواه: فانقضَّ فمعناه سقط تحتها يقال: انْقضَّ الطائر إذا سقط على الشيء.

(٢) شعوب ما شعوب، من رواه بالضم فهو جمع شِعَبٍ، وهو الموضع الخفي بين جبلين، ومن رواه بفتح الشين فهو اسم للمنيَّةِ لا يصرف.

(٣) قَيْضاً بنا والغَيَاطِلِ، يعني: عِوضاً، يقال: قَاضه بكذا أي: عوَّضه.

السَّمَاءِ طَوِيلاً، ثُمَّ جَعَل يَنْزُو[1]، ثُمَّ قال: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الله أَكْرَمَ مُحَمَّداً واصْطَفَاهُ، وطَهَّر قَلْبَهُ وحَشَاهُ، ومُكْثه فيكم أَيُّهَا النَّاسُ قَلِيلٌ؛ ثُمَّ امْتَدَّ[2] في جَبَلِهِ رَاجِعاً مِنْ حَيْثُ جَاءَ [١٥٨].

عمر بن الخطاب وسواد بن قارب

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان، أَنَّهُ حَدَّثَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَيْنَا هُو جالسٌ في النَّاسِ فِي مَسْجِدِ رسول اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ[3] مِنَ العَرَبِ[4] داخلاً المسجدَ يريدُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّاب؛ فلما

---

[١٥٨] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٧٧) عن ابن إسحاق.

---

(١) يَنْزو، أي: يَثِبُ، يقال: نزا ينزو إذا وثب.

(٢) امتد: أسرع، وفي رواية: أسند أي: علا، فيه وارتفع.

(٣) بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رَئِي فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب أتاك رسول من لؤي بن غالب، يدعو إلى الله وإلى عبادته. فرفعت رأسي وجلست فأدبر وهو يقول [من السريع]:

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَطْلاَبِهَا ... وَشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَقْتَابِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى ... مَا صَادِقُ الْجِنِّ كَكَذَّابِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ ... لَيْسَ قُدَامَاهَا كَأَذْبَارِهَا

قال: فقلت دعني أنام فإني أمسيت ناعساً.

قال: فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول [من الرجز]:

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَأَخْبَارِهَا ... وَرَحْلِهَا الْعِيسَ بِأَكْوَارِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى ... لَيْسَ ذَوُو الشَّرِّ كَأَخْيَارِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ ... مَا مُؤْمِنُو الجِنِّ كَكُفَّارِهَا

قال: قلت دعني أنام فإني أمسيت ناعساً. فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول [من الرجز]:

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَجْسَاسِهَا ... وَشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَحْلاَسِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى ... مَا خَيْرُ الجِنِّ كَأَنْجَاسِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ ... وَازْمِ بِعَيْنَيْكَ إِلَى رَأْسِهَا

فقمت وقلت: وقد امتحن الله قلبي. فرحلت ناقتي ثم أتيت المدينة فإذا رسول الله ﷺ وأصحابه حوله فدنوت منه فقلت: اسمع مقالتي يا رسول الله. قال: هات. فأنشأت أقول [من الطويل]:

أَتَانِي رَئِيِّي بَعْدَ هَدْءٍ وَرَقْدَةٍ ... وَلَمْ يَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبِ
ثَلاَثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ ... أَتَاكَ رَسُولٌ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ
فَشَمَّرْتُ عَنْ ذَيْلِ الإِزَارِ وَوَسَّطَتْ ... بِيَ الذَّعْلَبُ الوَجْنَاءُ بَيْنَ السَّبَاسِبِ =

نَظَر إليه عُمَرُ رضي الله عنه قال: إنَّ هذا الرَّجُل لَعَلَى شِرْكه مَا فَارَقَهُ بعدُ، أَوْ لَقَدْ كَانَ كَاهِناً فِي الجَاهِلِيَّةِ؛ فَسَلَّم عليه الرَّجُلُ؛ ثُمَّ جَلَسَ؛ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه: هَلْ أَسْلَمْتَ؟ قال: نَعَمْ يَا أَميرَ المُؤْمِنينَ، قَالَ لَهُ: فَهَلْ كُنْتَ كَاهِناً فِي الجَاهِلِيَّةِ؟ فقال الرَّجُلُ: سُبْحَانَ اللهِ يا أَمِيرَ المُؤْمِنينَ!!! لَقَدْ خِلْتَ فِيَّ واسْتَقْبَلتني بأمر مَا أَرَاكَ قُلْته لأَحَدٍ من رعيتك مُنْذ وَليتَ ما وليت، فقالَ عُمَرُ: اللهمَّ غَفْراً[1]؛ قد كُنَّا في الجاهلية عَلَى شَرٍّ من هذا: نَعْبُدُ الأصنام ونعتنق الأَوْثَانَ؛ حَتَّى أَكْرَمَنَا الله برسُولِهِ وَبِالإِسْلاَمِ؛ قَالَ: نَعَمْ واللهِ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنينَ، لَقَدْ كُنْتُ كَاهِناً فِي الْجَاهِلِيَّة؛ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي مَا جَاءَكَ به صَاحِبُكَ؛ قال: جَاءَنِي قَبْلَ الإِسْلاَمِ بشَهْرٍ أَو شَيْعِهِ[2]؛ فقال: ألم تَرَ إلى الْجِنِّ وَإِبْلاَسِهَا، وَإِيَاسِهَا مِنْ دِينِها، ولُحُوقِهَا بالقِلاَصِ وَأَحْلاَسِهَا.

قال ابن هشام: هذا الكلام سجع، وليس بشعر.

قال عبد الله بن كعب: فقال عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ عند ذلك يحدث النَّاسَ: واللهِ إنِّي لعِنْدَ رَئْنٍ من أوثانِ الجاهليةِ في نَفَرٍ من قريشٍ قد ذَبَحَ لَهُ رَجُلٌ من العَربِ عِجْلاً، فنحنُ ننتظرُ قسمه ليقسم لَنَا مِنْهُ إِذْ سَمِعْتُ مِنْ جَوْفِ العِجْل صوتاً ما سَمِعتُ صوتاً قَطُّ أَنْفَذَ منه، وذلكَ قبيل الإِسْلاَمِ بِشَهْرٍ أو شَيْعِهِ، يقول: يا ذُرَيْحُ، أَمْرٌ نُجَيْحٌ، رَجُلٌ يَصِيحُ، يقول: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله.

قال ابن هشام: ويقال: رَجُلٌ يَصِيحُ، بِلِسَانٍ فَصِيحٍ، يقول: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله.

وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر [من السريع]:

= فَأَشْهَدُ أَنَّ الله لا رَبَّ غَيْرُهُ ... وَأَنَّكَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبِ
وَأَنَّكَ أَدْنَى المُرْسَلِينَ وَسِيلَةً ... إِلَى اللَّهِ يَابْنَ الأَكْرَمِينَ الأَطَايِبِ
فَمُرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ مِنْ وَحْيِ رَبِّنَا ... وَإِنْ كَانَ فِيمَا جَاءَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
وَكُنْ لِي شَفِيعاً حِينَ لاَ ذُو قَرَابَةٍ ... بِمُغْنٍ فَتِيلاً عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبِ

قال: ففرح رسول الله ﷺ وأصحابه بمقالتي فرحاً شديداً حتى رئي الفرح في وجوههم.
قال عبد الله: فقال عمر عند ذلك يحدث الناس: والله إني لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش يقال لهم آل ذريح قد ذبح لهم رجل من العرب عجلاً فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه إذ سمعت من جوف العجل صوتاً ما سمعت قط أنفذ منه وذلك قبل الإسلام بشهر أو شيعه وهو يقول يا آل ذريح. وفي لفظ: يا جَليح، أمر نَجِيح، رجل فَصِيح يقول: لا إله إلا الله.
ينظر: السبل (١/٢٠٨ ـ ٢٠٩).

(٤) إذ أقبل رجل من العرب: هو أسود بن قارب.

(١) اللهم غَفْراً: هي كلمة تقولها العرب إذا أخطأ الرجل على الرجل، ومعناها: اللهم اغفر لي.

(٢) بشهر أو شيعه، يعني: أو دونه بقليل.

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَإِبْلاَسِهَا وَشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَحْلاَسِهَا[1]
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُو الْجِنِّ كَأَنْجَاسِهَا

قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغنا عن الكهان من العرب [١٥٩].

إِنْذَارُ يَهُودَ بِرَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اليهود تنذر العرب بمبعث النبي

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن رجال من قومه، قالوا: إِنَّ مِمَّا دَعَانَا إِلى الإِسْلاَمِ، مَعَ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَهَدَاهُ، لَمَّا كُنَّا نَسْمَعُ مِنْ رِجَالِ يَهُودِ، كُنَّا أَهْلَ شِرك، أصحابَ أَوْثانٍ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ، عندهم علم ليس لنا، وكانتْ لاَ تزالُ بيننا وبينهم شرورٌ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قَالُوا لَنَا: إِنَّهُ تقاربَ زمانُ نبي يُبْعَثُ الآنَ نقتلكم معه قَتْلَ عادٍ وإرم، فكُنَّا كثيراً ما نسمع ذلك منهم، فلما (٣٨/ب) بَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ

---

[١٥٩] إسناده ضعيف منقطع. شيخ ابن إسحاق مجهول لا يعرف حتى وإن لم يتهمه ابن إسحاق فلا يقبل حديثه. وعبد الله بن كعب الحميري مولى عثمان لم يدرك عمر بن الخطاب فهو منقطع. وينظر «تهذيب الكمال» (١٥/ ٤٧٥). والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) من طريق ابن إسحاق به. وقد وردت هذه القصة من وجوه كثيرة. فأخرجه البخاري (٧/ ٥٧٠) كتاب مناقب الأنصار باب إسلام عمر بن الخطاب حديث (٣٨٦٦) من طريق سالم عن ابن عمر عن عمر مختصراً. وأخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» رقم (٦٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٥٢ ـ ٢٥٤) والطبراني في «الكبير» (٧/ ١٠٩ ـ ١١١) رقم (٦٤٧٥) والحسن بن سفيان كما في «الإصابة» (٣/ ١٨٢) كلهم من طريق محمد بن كعب القرظي... فذكر الحديث بطوله. قلت: وإسناده ضعيف جداً.

عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي متروك كذبه. ابن معين كما قال الحافظ في «التقريب» (٢/ ١١). وللحديث شاهد من حديث البراء بن عازب. أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٤٨ ـ ٢٥١) من طريق أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب به. وذكره الحافظ في «الإصابة» (٣/ ١٨٢ ـ ١٨٣) من هذا الوجه وقال: وأصل هذه القصة في صحيح البخاري. وللحديث طرق أخرى في «الإصابة» (٣/ ١٨٢) وقال الحافظ ابن حجر بعد ذكر طرق قصة سواد بن قارب مع عمر بن الخطاب وهذه الطرق يقوي بعضها بعضاً ـ (٧/ ٢٢٧) فتح الباري. وذكرت هواتف الجن في ـ كتب متعددة وينظر «البداية والنهاية» (٢/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) و«الخصائص الكبرى» (١/ ١٧٠ ـ ١٧٢) و«سبل الهدى والرشاد» (٢/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨).

---

(١) عجبت للجن وإبلاسها: يقال: أَبْلَس الرجل، إذا سكت ذليلاً ومغلوباً، والأَحْلاَسُ: جمع حلس، وهو كساء أو جلد يوضع على ظهر البعير ثم يوضع عليه الرحل ليقيه من الدَّبَرِ، والعيسُ: الإبل البيض الكرام.
وذكر السهيلي هذين البيتين وزاد ثالثاً، وذكر للجميع ثلاث روايات مختلفة.
ينظر: الروض الأنف (١/ ٢٤٣)، وينظر البداية والنهاية (٢/ ٤٠٧).